لم يحمل آية اللّه التسخيري على ظهره هماً غير هم الإسلام

■ الشّيخ أديب حيدر / عضو المجلس المركزي لحزب الله لبنان

آية الله الشيخ محمد علي التّسخيري شخصيّة متميّزة برزت في عصر طغى عليه صفة المقاومة بكل أشكالها وتنوّعاتها الفكريّة والإجتماعيّة والسّياسيّة وكانت نقطة الإنطلاق له في تكوين شخصيّة النّجف الأشرف في العراق ثمّ أكمل مساره في إيران بظل قيام النّهضة الإسلاميّة على يد قائد الثّورة الإسلاميّة الإمام الخميني (قدس) ولذلك الحديث عن أية الله محمد علي التّسخيري ينقسم إلى قسمين.

القسم الأول عنه في مرحلة التّكوين والبحث عن الأسس التي ساهمت في بناء مرتكزاته العلميّة.

القسم الثّاني بعد ترحيله من العراق إلى إيران حيث بعد مرور ما يقارب التّسع من السنوات ومع انبلاج فجر الثّورة الإسلاميّة وفي صبحها المنير وسمائها النّقيّة التي لمع فيها كوكبا مشعّا كان نجمه بارزا وواضحا حتّى غاب نجمه وبقي شعاعه وإثارة شاخصه لكل ناظر.

ولد الشّيخ محمد علي في النّجف الأشرف وهي المدينة الّتي رقد فيها العلم وأصبحت حوزتها العلميّة المتخصّص في كل جوانب المعرفة والأدب وكانت فترة ولادته مترافقة مع ولادة نهضة علميّة واسعة حيث دخلت على مسار المرجعيّة شخصيّات واسعة الطّموح في إخراج النّجف الأشرف من كونها مخزن كتب وعقول جبّارة إلى أن تكون النّجف قائدة في التّغيير وقيادة المجتمع باتجاه الإسلام الحركيّ الفاعل ومع تعاظم قبضه الحكام على إدارة البلاد والمجتمعات الإسلاميّة بمصالح قوى الإستكبار العالمي التي رسخ استعماره لكل جوانب الحياة في البلاد الإسلاميّة والعربيّة ولذلك كان العالم يرزح تحت سلطة الغرب أو تقحّم الشّرق وحكم العالم بمعادلة الرأس ماليّة والإشتراكيّة وهنا كان في النّجف الأشرف من شرع للمواجهة الفكريّة والميدانيّة وعلى رأس هؤلاء الكبار آية الله الشّهيد محمّد باقر الصّدر والذي تسلم عنوان المواجهة من خلال كتبه التي لم يكن من سبق إليها في دائرة الحوزة ومن ثمّ أخذ يجمع الشّباب المتطلّع إلى الحياه الحرة والكريمة وأصبح الشّهيد الصّدر المرجع لكل خطوط المواجهة التي لم تنحصر في السّاحة العراقيّة بل توسّعت إلى الجامعات والسّاحات الفكريّة في الشّرق العربيّ والإسلاميّ ومن الشباب المتطلع إلى المستقبل الحر والفاعل كان الشّيخ محمد علي التّسخيري الذي بدأ بصناعة نفسه وانخرط في الحوزة التّقليديّة ومناهجها المقرّرة فدرس المقدمات الحوزويّة من أوّل السّطوح حتّى دراسة الدّروس العالية ولم يكتفي بل دخل المناهج العلميّة الأخرى وتخرّج من كليّة الفقه فكانت كليّة الفقه ملتقى معظم الشّخصيات التي ساهمت في تحريك الطاقات النائمة وحولتها إلى طاقات فاعلة وهنا التقى الجّهدان دائرة الشّهيد الصّدر والقوى المتنوّرة وكان لطلاب الشّهيد الصدر الحضور البارز في هذه الإندفاعة ولذلك الشّيخ التّسخيري بما زود نفسه من أسس علميّة حوزويّة وأسس علميّة جامعيّة أصبح مؤهلا ليكون من الكوادر المنتجة وانخرط في حزب الدعوه الإسلاميّة الذي بدأ في تلك الفترة وبتوجيه الشّهيد الصّدر يبرز في مقدمة المقاومين لطغيان الحاكم وحزبه أيضا كان من الذين ساهموا في هندسة اداريّة منتجة لمدارس متخصصة بتأهيل المبلغين والرّواد من الذين توجّهوا لسدّ الفراغ التبليغي في معظم المدن والأرياف العراقيّة وهنا كان مديرا ومعلما إلى جانب الشّهيد آية الله السّيد محمد الباقر الحكيم (قدس) والظاهرة التي تشكّلت من أعلام وعلماء قادوا تلك الفترة كان الشّيخ التّسخيري واحدا منهم وقد جمع بين النّهضة الحوزويّة والنهضة في ساحة المجتمع المهمل والمكبّل والمظلوم ومن هنا كان له شخصيّة حاضرة وفاعلة ومنسجمة في دائرة الحوزة والبحث الحوزويّ وفق المناهج التّقليديّة في الحوزة وكان له حضور واحترام دون أن يشعرك بأنه صاحب

> هذه الشخصيّة المتواضعة والقريبة من النّاس ومن خلال حضورها الفاعل في إدارة المؤتمرات الكبيرة أكسبته علاقات واسعة مع معظم النّخب الإسلاميّة والعلميّة على اختلاف مذاهبهم وبلدانهم مما جعله اسما ووجها معروفا ومحبوبا في كل المنتديات ولذلك كان طائرا متنقلا في أرجاء المعمورة.

رتبه علميّة عالية وفي دوائر التّبليغ والحوارات مع النّخب الفكريّة والمشاركة مع من دفعتهم روح الثورة والتّغيير في مواجهة السّلطات التي أرادت تجميد الشّعائر الحسينيّة وإلغائها وهذا مما جعله رقما بارزا وشخصيّة تشكل خطرا على السّلطات الحاكمة ولذا تطلّعت أعين جواسيس السلطة عليه وتم اعتقاله لأكثر من مرة وتعرض لأقسى أنواع التنكيل والتّعذيب في غرف سجون الطواغيط وعندما تجبرت السلطة طمعا وتعسفا واعتقالا وتسفيرا لعلماء الحوزة والكوادر الإسلاميّة المجاهدة وأصبحت المواجهة مع السلطة الظالمة لا تؤدّي إلى نتيجة إلا القتل وبعد قرار التسفير والإبعاد في أوائل السبعينيّات انتقل مجبرا إلى إيران وكان في تمام الإكتمال العلمي الحوزوي والخبرة القياديّة وعمق الثّقافة وتنوّعها ولذلك عمل في تلك الفترة على صرف رأس ماله العلمي في الحوزة العلميّة في قم المقدّسه وكان ذلك قبل انتصار الثّورة الإسلاميّة ما يقارب التسع من السنوات وعندما أشرقت شمس الثورة الإسلاميّة على يد الإمام المجدد السّيد الامام الخميني (قدس) والذي عاصره الشّيخ التسخيري قبل نفيه من النّجف وبدأت الثورة في تأسيس عهد جديد وبدأت مرحلة التّركيز على معالم الإدارة وبسط العمل الإختصاصي ورسم هيكليّة الدّولة التي تريد أن تكون قادرة على تطوير نفسها وحمايتها من المتربّصين والأعداء المراهنين على فشلها وسقوطها بدأ آيه الله الشّيخ محمد علي التّسخيري بما يمتلك من شخصيّة مثابرة ومتابعة بحماس وإيمان ولم يكن في البداية يحمل ملفا او مسؤوليّة بل كنت تراه في كل مجموعة وتشكيل واحدا منهم وفاعلا ومنتجا ومستشارا ولذلك ترسخت القناعة أن الشيخ له قدرة النجاح في أي ميدان وضعته فيه وفي أية مهمّة يكلف بها وهو الرجل المتفاني والمخلص الثابت الواثق من أسسه التي يبني عليها وهو الذي يعمل ويخطط وينفّذ وكان النجاح الباهر النّتيجة لجهده لذلك تميّز بأنّه كان يصنع الموقع ويعطيه العنوان المناسب وليس الموقع هو الذي يصنعه ولذلك كانت الدوائر والمواقع هي التي تحتاجه ولذا نرى أنّة لم يقتصر بحضوره في الموقع وينتهي دوره مع انتهاء تكليفه وبالبرغم من وجوده في أكثر من موقع قيادي تراه حاضرا في كل المواقع صاحب رأي ومشورة ....هذه الشخصيّة المتواضعة والقريبة من النّاس ومن خلال حضورها الفاعل في إدارة المؤتمرات الكبيرة أكسبته علاقات واسعة مع معظم النّخب الإسلاميّة والعلميّة على اختلاف مذاهبهم وبلدانهم مما جعله اسما ووجها معروفا ومحبوبا في كل المنتديات ولذلك كان طائرا متنقلا في أرجاء المعمورة قل أن يغيب عن أيّة ندوة أو مؤتمر عالمي إسلامي أو علمي وهذا يعود لشخصيّته التي عمل على بنائها وعلى أساس أول مداميكها هي الثقة بالنفس وأن لا شيء نحكم عليه بالإستحالة والثقه بالنفس على حلها وفق الأسس العلميّة التي بنى عليها منطلقاته وأرائه وكان مرنا في حواره يتغلب على التعنت بالحكمة والعقل والإبتعاد عن روح التّعصب والجدل الفارغ يشعرك بالمحبّة والمودّة مهما كنت مخالفا له ومما أتذكره في فترة وجوده في النجف وقد كان لي شرف التعرف عليه والعلاقة الأخويّة التي أثّرت في نفسي وتعلمت منه معنى المثابرة والتواضع والإخلاص لله في العمل وكنت أسمع أستاذنا الشّهيد آية الله محمد باقر الصدر يقول لنا ولطلّابه عندما نغادر النجف أثناء العطلة الدّراسيّة لنقوم بمهام التّبليغ وكنّا نقول لأستاذنا أوصنا يا مولانا فكان الجواب اوصيكم ان تجعلوا الإسلام هما على ظهوركم نعم لم يحمل آية الله التسخيري على ظهره هما غير هم الإسلام ولذلك كان همه التقريب بين المذاهب الإسلاميّة والمجاميع العلميّة كان همه أن يثبّت القواعد الفكريّة لأهل البيت عليهم السلام من خلال مجمع أهل البيت كان همه صيانة الثورة من أجل رفعة الإسلام وتثبيت قواعدها وكان أحد الخبراء المميزين بالعطاء كان همه أن يكون في خدمة الفقيه الولي فلذلك عمل لخدمته دون أن يعمل حساب لصحّته بعد التوعّك كان همّه الدول الفقيرة والمجموعات الفقيرة كانت هذه الوصيّة كل جهوده وجهاده التي قدّم حياته وصحّته من أجل رفعة الإسلام غابت شمسك في محرم شهر الثورة والحياة رحلت جسدا وبقيت في كل ناد صورة القدوة.